جامعة أبي بكر بلقايد
كلّية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار
المستوى: السنة الثانية ، السّداسي: الثاني
عنوان المقياس: تاريخ وآثار المغرب الإسلامي 2

السّنة الجامعية: 2024/2023
التّخصص: علم الآثار العام
أستاذ المقياس: بن حمو

الرّقم التّسلسلي للدّرس في المقرر الوزاري 03

عنوان الدّرس:

الدولة العثمانية التركية

الدولة العثمانية التركية:

تمكن السلطان سليم من هزيمة قوات الشاه إسماعيل الصفوي حاكم إيران سنتي 1514م و1515م، ثم استولى على العراق في العام الموالي، ثم مصر سنة 1516-1517م، ثم استولى على سوريا وفلسطين، وفي عام 1520م دخلت تحت طاعته مكة ووصل نفوذهم سنة 1547م إلى صنعاء.

وفي نفس الوقت استولى العثمانيون على الجزء الغربي من البحر المتوسط على يد الأخوين عروج وخير الدين باربروس بطلب من أهل الجزائر لإنقاذهم من الإسبان، ففي البداية قام عروج باستخلاص جيجل من الإسبان عام 920هـ/1514م واتخذها مقرا مبدئيا له معلنا الولاء للعثمانيين، ثم دخل الجزائر سنة 922هـ/1516م وجعلها قاعدة لتوسعه .

بعد أن استقر عروج مع من معه في الجزائر ووطد أركان الدولة عزم على إخراج الإسبان من مدن المغرب، وكان الإسبان في كل من تونس وبجاية شرقا ووهران وضواحيها غربا إلى بعض سواحل المغرب الأقصى يقاسمهم هناك البرتغاليون، وأدركوا أن الجهة الغربية أكثر خطرا ليس من طرف الإسبان وفقط، ولكن أيضا من بني زيان الذين والى حكامهم الإسبان، بالإضافة إلى خطر البرتغاليين الذي يهدد الوطاسيين في المغرب الأقصى .

قرر عروج أن يتجه إلى الغرب وبالضبط إلى مدينة تنس التي والى أميرها الإسبان على بني عمومته ليسترد عرش تلمسان، كما أنه قد جرّأ الإسبان على ولاية الجزائر ووعدهم بإعانتهم، لذلك اتجه عروج إلى هذه المدينة في شهر جوان من سنة 924هـ/1517م بجيشه برا وسار أخوه خير الدين بأسطوله بحرا، واستطاعوا أن يدخلوا المدينة وقتلوا أميرها الخائن، ولم يكد يستقر بعروج المقام بتنس حتى جاءه وفد كبير من تلمسان يشكوا إليه سوء الحالة بها، بعد أن تربع أبو حمو الثالث على عرشها بمساعدة الإسبان الذين التقى بملكهم في مدينة برغرس Burgos وتعهد له بالطاعة، فلما تولى العرش بحِراب الصليبيين زج بالملك الشرعي أبي زيان في السجن، فلم يفوّت عروج هذه الفرصة واستطاع أن يهزمهم، وفر أبو حمو إلى فاس ثم إلى وهران لطلب المساعدة من أسياده الإسبان، أما عروج فدخل تلمسان وولّى عليها أبا زيان الثالث، ولكن هذا الأخير نبذ تبعيته للعثمانيين بعد مدة، فعاد عروج إلى تلمسان وقتل أبا زيان وبعض مناصريه وأخمد نار الفتنة.

ثم استطاع أبو حمو الثالث مع الصليبيين الإسبان استعادة المدينة وكانت هذه الأحداث في سنة 925هـ/1518م، ويا ليت تلمسان ارتاحت بعد ذلك بل بالعكس تماما فقد استمرت الفتنة والتقاتل

على العرش، وأذكت إسبانيا بسياستها نار العداوة بين أفراد الأسرة الواحدة واستفادت من ذلك أيما استفادة وبقيت الأحوال في تلمسان على ذلك زمنا .

في سنة 948هـ/1541م نجح خير الدين في رد تلمسان لصف الوحدة ونصّب على تلمسان أبا زيان ، إلا أن محمد السابع الحاكم الزيان المخلوع وكعادة كثير من أهل زمانه استعدى حليفته إسبانيا فاستجابت لذلك، غير أنهم هزموا في معركة شعبة اللحم سنة 950هـ/1543م، ومع هذا لم ييأسوا فقصدوا تلمسان بعد ذلك على رأس جيش قوامه خمسة عشر ألف مقاتل ومثله من الأعراب وهزموا أبا زيان أحمد، ودخلوا تلمسان وعاثوا فيها فسادا ولا تسل عما فعلوه، واستطاع أبو زيان جمع جموعه مدعما من خير الدين ، والتقى الجيشان في معركة الزيتون فكانت الدائرة على محمد السابع الذي فر مع بعض خواصه إلى بلاد أنكاد يريد المدد إلا أن قبائلها قتلوه واستراحوا من شره .

بقيت الأمور على حالها لبعض الوقت ، ثم ما لبث أبو زيان أن اتصل بالإسبان أعداءه بالأمس ، وبمجرد أن خُلع اتجه إلى وهران طالبا النصرة على أخيه الحسن، طبعا لم يترك الإسبان هذه الفرصة كعادتهم، فجهزوا الجيش من الإسبانيين والأعراب، ولما سمع بذلك حسن باشا بن خير الدين توجه لرد كيدهم، إلا أن موت والده حال دون إكمال المهمة فعاد إلى الجزائر لكي يكون خليفة لوالده بعدما هزم أعداءه في مستغانم، وبعد أن استقر له الأمر خرج قاصدا وهران لاسترجاعها من الإسبان، وفي هذه الأثناء حاول الملك السعدي الشريف محمد المهدي الاستيلاء على مملكة الزيانين واستطاع الوصول إلى شلف ، إلا أن القوة العثمانية أرجعته إلى حدوده، واستقرت حامية من العثمانيين بتلمسان سنة 957هـ/1550م، وجعلوا الحسن بن عبد الله الثاني أميرا على المدينة، وفي سنة 962هـ/1554م اجتمع مجلس العلماء وقرر خلع الأمير الظالم وأعلن صالح رايس نهاية دولة بني زيان وانضمام تلمسان نهائيا إلى الدولة الجزائرية، ومن المؤرخين من يرى أن الانضمام التام إنما كان سنة 966هـ/1558م .

في سنة 1518م أرسل خير الدين بيعته للسلطان سليم الأول وكان هذا الأخير في تلك الفترة في مصر بعد أن أسقط دولة المماليك، فقبل سليم ذلك وأرسل إليه رجال المدفعية وحوالي ألفي جندي من الإنكشارية عام 1519م وبعض المتطوعين، وعينه حاكما أو باشا"بيكلرباي" للجزائر، بل وحذر سليم حكام تونس وتلمسان من الاعتداء على إمارة الجزائر، ومنذ ذلك الحين أصبحت مدينة الجزائر تابعة للباب العالي، أو أيالة عثمانية، وتعني هذه الكلمة ولاية أي دولة داخل إمبراطورية، أو دولة تحكم نفسها ولا تنكر تبعيتها للسلطان العثماني.

وبخصوص تونس فبعد عدت تقلبات استولى عليها خير الدين سنة 1535م بعد أن استعان آخر حكامها بالإسبان، ثم استولى عليها شارل الخامس في السنة الموالية وأعاد تنصيب مولاي الحسن حاكما عليها، وفي عام 1574م استولى عليها سنان باشا بالقوة وأصبحت تونس ولاية عثمانية، وكان سنان باشا قد استولى من قبل على طرابلس بعد أن انتزعها من فرسان مالطة عام 1551م.

وبقيت المغرب هي الوحيدة في الشمال الإفريقي التي لم تدخل في نطاق الإمبراطورية العثمانية، وبهذا تحددت الحدود بين الجزائر والمغرب بين وجدة وتلمسان.

نظام الحكم العثماني في الجزائر:

بالنسبة للجزائر وتونس فإن موقعهما على مسافة بعيدة عن مراكز السلطة يفسر بلا شك تطور هاتين الولايتين تطورا لا يقاوم نحو استقلالٍ يزداد اكتمالا، عكس وضع غيرهما من المدن القريبة من الأستانة.

إن الضعف التدريجي للمؤسسة السلطانية والتي حلت مكانها سلطات الصدور العظام والدواوين، ثم التخلي عن النظام الذي كان يزود الإمبراطورية بالمديرين وبالجنود المخلصين والأكفاء نسبيا؛ أدى إلى إضعاف سيطرة الحكومة المركزية على الولايات وبالتالي إلى ظهور اتجاهات رافضة للسلطة المركزية كلما سمحت الظروف بذلك أو على الأقل ازدياد توطد الاتجاهات الاستقلالية في الولايات.

ولم تنظر السلطة العليا للإمبراطورية إلى مثل هذه التطورات على اعتبارها كارثة، واستسلمت لها في غالبية الأحوال كأمر حتمي طالما بقي هناك احترام للالتزامات الرئيسية والشكليات الظاهرية بالخضوع للسلطات المركزية؛ مثل الالتزام بالمساهمة في أمن الإمبراطورية، وبالمشاركة في حملاتها، والمحافظة على الأمن ودفع الجزية السنوية إلى خزينة الإمبراطورية والتي هي مظهر الاعتراف بسيادة الباب العالي.

تكشف أوضاع الولايات العربية في القرن الثامن عشر عن تنوع كبير يتراوح بين التبعية شبه الكاملة لسلطة الحكومة العثمانية وبين الحكم الذاتي الذي يقترب من الاستقلال.

بعض مراجع الدرس:

- حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة.**
- محمد السيد الدغيم، **تاريخ البحرية العثمانية حتى نهاية الخليفة العثماني سليم الثاني بن ليمان القانوني بن سليم الأول سنة 1574م**، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية، الحضارة الإسلامية وعالم البحار(بحوث ودراسات).
- يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر الحديثة.**
- أندريه ريمون، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني.**
- بلجوزي، **آثار عمران حواضر بايلك الغرب** ، دكتوراه في علم الآثار، معهد الآثار جامعة الجزائر2.
- صالح فركوس، **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال المراحل الكبرى.**
- محمد فريد بك بن أحمد فريد باشا، **تاريخ الدولة العلية العثمانية.**
- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي.**